

كلية الطب

جامعة أسيوط

الطب العربي



إعداد:

مصطفى مشعل مصطفى

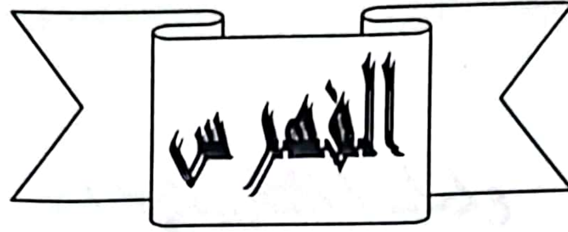
طالب بالفرقة السادسة

إشراف:

أ.د/ فاطمة أبوبكر العسيلي

أستاذ الباطنة العامة

أخي الحبيب الـ Senior :
محمد عبد الغني عبد المطلب
أهدي إليك هذا البحث
مع أطيب أمنياتي لك بالتوفيق
والمستقبل الباهر بإذن الله بعد التخرج
أخوك الصغير
مصطفى مشعل مصطفى
٢٠٠٥/٢/١١



الموضوع: **الصفحة**

ولماذا التاريخ؟!!

"في دراســـة العلم القديم تفَهُّم للماضي التليد الذي صدرنا عنه، ونقلنا منه، وكذلك تعرف إلى الحاضر الذي أقمنا عليه". (جورج سارتون – مقدمة تاريخ العلم)

"إنمـــا أدرك من هذه الصناعة إلى هذه الغاية في ألوفٍ من السنين ألوفٌ من الرجال، فإذا اقتدى المُقتدي أثرهم صار كمن أدركهم كلهم في زمان قصير، وصار كمن قد عمّر تلك السنين". (أبو بكر الرازي)

"ولا نعرف أمةً في التاريخ قد عُنيت بالعلم كما عُنيت الأمة العربية بالعلم في عصورها الإسلامية الزاهية، حتى كان العلم والحركة العلمية جزءًا من حياتها بل من كيانها".

(د/ عبد الحليم منتصر– تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه)

"إنها سبةٌ أن يعلم أهل العلم من الأوربيين أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل، وأن هذه النهضة فاقت كثيرًا ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقررون هذا.إن العرب ظلوا ثمانية قرونٍ طوالٍ يشعون على العالم علمًا وفنـًا وأدبًا وحضارةً، كما أخذوا بيد أوربا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية أنّى ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها، سواءً في آسيا أو إفريقيا أو أوربا، ثم تنكر أوربا على العرب الاعتراف بهذا الفضل!". (د/سيجريد هونكه – شمس الله تشرق على الغرب)

" لقـــد ســـاد الاعتقاد ردحًا طويلاً، أن العرب كانوا أهل أدبٍ وشعرٍ وفلسفةٍ وغير ذلك من ألوان المعارف الأدبية، أو رجال مذاهبٍ وفرقٍ دينيةٍ وتصوُّف وما إليه من معارف دينية، وتُجُوهِلَ أو تُنُسِيَ أثرهم في العلم، بل علو كعبهم وسبقهم فيه، أكاد أن أقول وتفوق إنتاجهم فيه على إنتاجهم في سائر المعارف الأخرى.

ولـــيس من شكٍ في أننا نحن العرب أهل أصالةٍ وأثالةٍ في العلم، قُدنا الإنسانية مرةً نحو المجد والقوة بفضل نفرٍ كـــريمٍ من العلماء العرب، حملوا المِشعَل وأضاءوا دياجير الجهل في الوقت الذي كانت أوربا غارقة في ظلماته، ولعلنـــا مـــن الناحيـــة العلمية أغنى الأمم تراثًا، وقد تعاقبت علينا حضاراتٍ تمثلناها ورعيناها، وقمنا بذلك الواجب العلمي والإنساني نحو البشرية كلها.

وهـــل يعلم شبابنا أن اللغة العربية كانت يومًا هي اللغة العلمية العالمية، وأنها كانت تحتكر المؤلفات العلمية، لا تكـــاد تنشر إلا بها، نعم لقد كانت العربية يومًا هي اللغة الدولية في هذا الميدان...فلا ينبغي أن نغمط علماءنا الذيـــن نقل عنهم الغرب في سالف الأيام، وإنه لدينٌ يؤديه العصر الحاضر للعصور العربية الإسلامية الزاهية، وإنها لأمانةٌ في أعناقنا نحن أجفاد العرب أن نحمل المشعل مرة أخرى لنضيء الطريق، ونقود الإنسانية كما فعل أسلافنا أول مرة". (د/ عبد الحليم منتصر–تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه)

حال الطب قبل الحضارة الإسلامية

إن المطالع لكتب الطب العربي ليلحظ أن من أهم ما تميزت به هو الأمانة الشديدة في نقل المعلومات ونسب الكتب والأقوال إلى مؤلفيها.تسلمت الحضارة الإسلامية مفاتيح العلوم الطبية ممن سبقها من الأمم وعملت على استيعاب ما فيها من كنوز، فمزجتها بثقافتها وصبغتها بمعالمها، ثم أخذت تضيف إليها بسخاء شديد المزيد من الدرر والنفائس التي جادت بها قرائح علمائها واستمرت في العطاء على مدى ثمانية قرون حتى إذا أصابها الوهن اضطرت آسفة لأن تسلم هذه المفاتيح إلى غيرها من الأمم حتى تستمر مسيرة العلم.

ومن الواجب علينا إذا أردنا أن نتحدث عن الطب العربي ونعطيه حقه أن نتعرف على حال الطب قبل الحضارة الإسلامية لهدفين: الأول هو السير على نهج أجدادنا في إعطاء كل ذي حقٍ حقه، والثاني أن تكتمل لدينا الصورة في التعرف على كيفية وصول علم الطب إلينا بهذا الشكل الذي هو عليه الآن.

الطب البدائي:

إذا بحثنا عن البدايات الأولى للطب نجد أن الاشتغال بالطب بدأ بطبيعة الحال منذ فجر التاريخ حيث أن النزعة للتداوي هي نزعة غريزية في نفس الإنسان منذ أن أحس بالألم. ولكن في نفس الوقت كان هناك خلط عند الإنسان البدائي بين الطب والسحر نتيجة لاعتقاده أن سبب المرض هو الأرواح الشريرة التي تدخل الجسم وبالتالي يكون علاجها الطرد بالسحر.



"A Successful Operation"
the National Library of Medicine

وقد سجل تاريخيا بعضُ أنواع العلاج البدائي منذ اثني عشر أو أربعة عشر ألف عام ومنها وجود بعض الجماجم في هذا العصر بها ثقوب مما يعرف في عصرنا الحاضر بعملية "التربنة *Trephine operation* " أو ثقب الدماغ استُخدمت فيها أدوات من حجر الصوان.

والأغرب أن بعض هذه الثقوب وجدت ناعمة ومستديرة الحافة مما يدل على أن صاحبها عاش بعد إجراء هذه الجراحة وقتا كافيا لشفائه منها، ولكن المؤرخين رجحوا أن هذه الثقوب كان غرضها هو طرد الأرواح الشريرة التي تسبب المرض.

ومـــع دوران عجلـــة التاريخ ظهرت الحضارات الأولى في تاريخ البشرية وقد تركزت هذه الحضارات حول نهر النيل ونهري دجلة والفرات. ومع هذه الحضارات شهد الطب العديد من التطورات وسنذكر أهم ملامحها.

الطب في حضارات بلاد الرافدين:

ازدهرت الحضارات السومرية والبابلية و الآشورية في بلاد الرافدين منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة ق.م .

وكـــان الطـــب في تلك الحضارات معترفا به كمهنة فقد وجد خاتم لأحد الأطباء ضمن آثار مدينة تسمى " لاجاس" ، كما وجدت دورات مياه صحية مزودة بالمجاري.

وظلت فكرة تسلل الشياطين إلى جسم الإنسان هي المسيطرة على النظرة إلى سبب الأمراض لذا بقي السحر ضمن أنواع العلاج المعترف بها في ذلك الوقت.

ومن أهم ما وصل إلينا من تلك الحضارات قانون حمورابي الذي لم يكتف فقط بتحديد واجبات الطبيـــب وحقوقـــه، بل حدد الأجور التي يتقاضاها من مرضاه كما نص على معاقبة الطبيب الذي يتسبب في إتلاف بصر المريض بقطع يده.

الطب عند قدماء المصريين:

أحـــرز قدماء المصريين تفوقا كبيرا في مجال الطب و شهد لهم التاريخ بذلك فيكفي أن أول طبيـــب ورد ذكـــره في التاريخ هو العبقري "إمحوتب *Imhotep*" الـــذي عمل وزيرا للملك زوسر حوالي عام ٢٥٠٠ق.م . وقد اشتهر "إمحوتـــب" بمهارتـــه فـــي الطب والفلك والحكمة والفلسفة والسحر والهندسة و هرم سقارة الذي شيده لمليكه زوسر يشهد على نبوغه كما شهد له المصريون بذلك فرفعوه إلى مصاف الآلهة ورسموه إلها للطب.



إمحوتب

وقد كشفت البرديات المصرية القديمة عن الاهتمام بالطب في تلك الحضارة و أطلق على هذه البرديات اسم مكتشفيها أو ناشريها أو أصحابها أو المدن التي تحفظ فيها، فعلى سبيل المثال: تهـــتم بـــردية "إيبرس *Ebers*" التي يرجع تاريخها إلى ١٥٥٠ق.م بالطب الباطني والعقاقير وورد فـــيها أسماء بعض الأمراض مثل الرمد الحبيبي كما ورد فيها ذكر للمرض المعروف الآن باسم البلهارسيا.

أما بردية "إدوين سميث *Edwin Smith*" ويرجع تاريخها إلى ١٦٠٠ق.م فأكثر موضوعاتها جراحية كما تحدثت عن الصلة بين النبض والقلب، وأدرك مؤلفها وجود الأغشية السحائية كما استخدمت هذه البردية لفظ المخ لأول مرة في التاريخ.

ويذكــر هــيرودوت أن المصــريين هــم أول مــن زاولوا الختان، كما ذكر وجود الأطباء المتخصصين في الأمراض المختلفة مثل العيون و الرأس و هكذا.

ومــن اللافت للنظر النظام الدقيق في التعامل مع المرض فيبدأون بأعراض المرض ثم طرق الفحص والعلامات ثم التشخيص ويتبعه تقسيم الأمراض حسب التوقع ***Prognosis*** إلى:

(مرض سأعالجه – مرض سأكافحه – مرض لن أعالجه) ثم يتبع ذلك العلاج.

ورغــم كــل الــتقدم الذي أحرزه قدماء المصريين إلا أن العلاج بالسحر ظلت له مكانة قوية عــندهم فــنجد أن الأمراض التي كانت تظهر نتيجة مؤثر خارج جسم الإنسان كان علاجها بطــرق تتميز بالدقة وتبتعد كل البعد عن السحر والشعوذة في حين أنه في الأمراض الباطنية الخفية كانوا يلجأون إلى السحر وذلك نتيجة لجهلهم بحقيقة المرض.

الطب عند الإغريق:

بدأ العلم اليوناني يتخذ مكانا متميزا مع حلول القرن السابع ق.م ثم بلغ أقصى درجات ازدهاره فــي القــرن الخامس ق.م ، ومع هذا الازدهار أخذ الطب يقطع أشواطًا بعيدة للأمام على يد اليونانيين حيث استفادوا من المعارف القديمة وطوروها بشكل ملحوظ.

وباســتعراض أهم المعالم التي أثرت في الطب اليوناني تطالعنا ثلاثة أسماء مهمة برزت في مجال الطب وهي:



- اسكليبيوس ***Asclepius***: الذي رفعه الإغريق إلى مصاف الآلهة وجعلوه "إلــه الطب" ورمزوا له بعصا تلتف حولها حية واحدة تمثل حتى الآن رمز الطب كما أقيم له ما يقرب من ٣٠٠ معبد، وقد أوصى اسكليبيوس ولديه بــأن يقتصر تعليمهم لصناعة الطب على أسرتهما ولا تخرج هذه الصناعة إلى الغرباء. ومن هذه الأسرة خرج أبقراط الذي سنتحدث عنه بعد قليل.
- إمبيدوكليس ***Empedocles*** : الذي ظهر في صقلية في القرن السادس ق.م وعرف أن القلــب هو مركز الجهاز الدموي كما أسس نظرية الأمزجة أو صفات الجسم من حار وبارد ورطب ويابس وهذه النظرية هي التي لازمت الطب حتى اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر الميلادي.
- أبقراط ***Hippocrates*** : وهو أبو الطب وأعظم أطباء زمانه بلا منازع. ولد سنة ٤٦٠ق.م في جزيرة "كوس" إحدى جزر بحر إيجة.


أبقراط

وتــرجع أهمــية أبقراط إلى كونه أول من رتب الطب وبوبه وبناه على أسس علمية صحيحة وطهره من السحر والخرافات، كما رفع

من آداب مهنة الطب ووضع تقاليدها الحسنة و له في ذلك قسمه الشهير .

وقد ترك أبقراط حوالي ٨٧ كتابًا ورسالة في شئون الطب، وطور خلالها نظرية الأمزجة والأخلاط فكان له أثر كبير على الأطباء العرب الذين ترجموا كتبه إلى العربية وأوصوا بها كمقرر دراسي لا غنى عنه لكل طالب طب.

وبعد موت أبقراط حوالي عام ٣٧٠ق.م أخذ الطب يتحول تدريجيًا إلى الدراسة النظرية البحتة وكثر الجدل العقيم بين المدارس المختلفة ولم يخرج من هذا إلا "أرسطو ***Aristotle***" المعلم الأول للإنسانية والذي ترك بصمته على كل العلوم بما فيها الطب وكان معلمًا للإسكندر الأكبر، وبموت الإسكندر ثم أرسطو بعده بعام واحد سنة ٣٢٢ق.م انقسمت إمبراطورية الإسكندر بين خلفائه ولعب الاضطهاد السياسي دوره في تفرق العلماء الإغريق وهجرة عدد كبير منهم إلى الإسكندرية وكانت مصر من نصيب البطالمة الذين عرفوا بحب العلم فأنشئت مكتبة الإسكندرية القديمة على يد "ستراتون" الذي استقدمه بطليموس الثاني إلى الإسكندرية عام ٣٠٠ق.م، ومنذ ذلك الوقت تحولت الإسكندرية إلى منارة للعلم تشع على العالم كله وأخذت الدور الأكبر في النهضة العلمية بينما تراجع دور أثينا.

وفي عام ٤٧ق.م حدثت كارثة علمية لم يصب العالم بمثلها من قبل وذلك بإحراق مكتبة الإسكندرية بمحتوياتها التي قدرت ب٧٠٠ ألف مجلد أثناء الثورة على "يوليوس قيصر" ولكن ما لبث أن استعادت الإسكندرية بعض مكانتها بعد أن أهدى "مارك أنطونيوس" إلى "كليوباترا" ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة برجاموس بآسيا الصغرى.

ورغم دخول مصر تحت الحكم الروماني عام ٣٠ق.م إلا أن الإسكندرية استمرت في أداء دورها العلمي حتى القرن الثالث الميلادي.

وقد اشتهر في الإسكندرية العديد من العلماء مثل إقليدس و أرشميدس وفي مجال الطب ظهرت العديد من الأسماء كان أهمها هو "كلوديوس جالينوس " .

- **جالينوس *Galen*** : ولد في بلدة برجاموس عام ١٣١م ودرس في الإسكندرية ثم رحل إلى روما حيث عمل كطبيب في بلاط الإمبراطور الروماني "مارك أوريليوس".


جالينوس

وقد سار جالينوس على نهج أبقراط وقام بتطوير نظرياته فأحدث تأثيرا كبيرا في علم الطب حتى سيطرت آراؤه على التفكير الطبي على مدى خمسة عشر قرنا بعده، وكان جالينوس هو أحب الأطباء إلى العرب فترجموا له العديد من الكتب واعتمدوا على علمه واتخذوه مثلا حتى أنهم كانوا يذكرونه في أشعارهم ومنها ما قاله المتنبي في الحكمة:

يموت راعي الضأنِ في جَهلِهِ   موتة جاليــنوسَ في طبــهِ
وربُــما زادَ علــى عُمْــرِهِ   وزاد في الأمن على سربــه

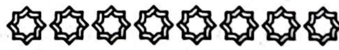
وتــرك جاليــنوس حوالي ٥٠٠ رسالة مطولة شملت موضوعات مختلفة في الطب واستمر عطاؤه المتميز إلى أن مات سنة ٢٠١م تقريبا.

وبعد موت جالينوس بأكثر من قرن و في عام ٣١٣م تحديدا اعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانـــة المســيحية فبدأ الاضطهاد الديني للعلماء الوثنيين وكان النظام الديني للرومان يحرم الاتجاه العلمي في الطب ويحقر من شأن العلوم الإغريقية، فهاجر العلماء مرة أخرى واتجهوا نحــو الشرق حيث مكثوا في "الرها" فترة طويلة من الزمن وهناك رعتهم الكنيسة النسطورية التــي انفصــلت عــن الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية وكانت تشجع على نشر العلوم الإغريقية والحفاظ عليها.

ثــم توالت الانتكاسات العلمية تباعا فحدث تدمير آخر لمكتبة الإسكندرية في عهد الإمبراطور "ثيودوســيوس *Theodosius*" (٣٧٨-٣٩٥م) وكان متطرفا في مسيحيته فأمر بهدم المعابد الوثنــية بما فيها مكتبة الإسكندرية وأعقب ذلك بفترة إغلاق الأكاديمية في أثينا عام ٥٢٩م ، كما قام الإمبراطور الأرثوذكسي في القرن السادس بطرد النساطرة من "الرها" فانتقل العلماء إلى بلاد فارس واستقر الأطباء في جنديسابور جنوب فارس.

وانغمســت أوربــا في الجهل الشديد وعاد السحر والخرافة ليسيطر على التفكير الطبي ومن أمثلة ذلك ما وصفه أحد أطباء البلاط البيزنطي لعلاج الصرع :

"خــذ مسمارا من سفينة حطمتها الأمواج، واجعله على شكل سوار، وعلق في هذا السوار عظمة من قلب غزال أُخذت منه حيًا!!. ثم ضع هذا السوار في الذراع اليمنى....وإنك لتدهش قطعًا من النتيجة!!".



وهكذا خيم ظلام دامس على أوربا والعالم فلم يجد التاريخ بُدّاً من أن يُدير ظهره للغرب وأخذ يبحث عن قبس من نور فلم يجد سوى بعض البصيص في فارس وهنا بزغ فجر الإسلام من قلب جزيرة العرب وتحولت القبائل العربية المتفرقة إلى أمة واحدة أخذت بزمام العالم وقادته من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، فيَمَّمَ التاريخ وجهه شطر الشرق و فتح صفحة جديدة من صفحات العلم وسطر بأحرفٍ من نور فصلاً جديدًا من فصول الطب هو:

الطب العربي

الطب العربي

عندما ظهر الإسلام حث كثيرا على الاهتمام بالعلم وفضل العلماء على غيرهم فيكفي أن معجزته هي كتاب وهو القرآن الكريم، وأول كلمة نزلت منه هي "اقرأ" ، وفي القرآن يقول الله تعالى:"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾"[1] ويقول :"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ "[2] والآيات التي تحث على استخدام العقل وإعمال الفكر كثيرة جدًا، كما ربط الإسلام بين العلم ودخول الجنة فقال الرسول ﷺ :" من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر"[3] .

وقبل أن نتحدث عن الطب في الإسلام نلقي نظرة سريعة على حال الطب قبل الإسلام:

الطب العربي قبل الإسلام:

بالطبع مارس العرب في الجاهلية الطب باعتباره ضرورة لا غنى عنها فعرفوا الجراحة واستخدموا الكي والحجامة كما مارسوا الختان.

وعرف عرب الجاهلية كثيرًا من الأمراض والعقاقير، ووضعوا لكل عضو من أعضاء الإنسان والحيوان اسمًا ووصفًا، وذكروا الأسنان وأصنافها وأجزاءها ومنابتها، واللسان وما في أسفله من الأجزاء والعظام، والحلق وبيان غدده، وسائر الأعصاب والعضلات والعروق والأطراف.

ومارست النساء القابلات التوليد وعرفوا عملية "الخِشْعَة" وهو شق بطن الأم الميتة لاستخراج الجنين الحي مما يعرف الآن بعملية "*postmortem caesarean section*" ومن أشهر الأطباء في ذلك الوقت:

- "ابن حزيم": وكان يضرب به المثل لبراعته فيقال "أطب من ابن حزيم".

---

[1]) سورة المجادلة- الآية ١١.

[2]) سورة الزمر- الآية ٩

[3]) رواه ابن ماجة ، صحيح الألباني

الطب في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

الطب النبوي[1]:

وسنكتفي هنا بذكر سريع له لأنه يحتاج إلى تفصيل وأبحاث منفصلة بينما نحن نقوم باستعراض عام لمسار الطب العربي. ويشمل الطب النبوي:

- **الطب الوقائي:** ومن أمثلته قول الرسول ﷺ:"بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلاً: فثلثٌ لطعامه, وثلثٌ لشرابه, وثلثٌ لنفسه"[2], والرسول ﷺ هو أول من نادى بالحجر الصحي في قوله:" إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[3].
- **الطب العلاجي:** ومن أمثلته قوله ﷺ :" الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"[4]

وفي هذا العهد اشتهرت العديد من الأسماء في الطب ومنها:

- **"الحارث بن كلدة الثقفي"**: ولد بالطائف في الجاهلية وتعلم الطب في جنديسابور ثم أدرك الإسلام ويعد هو أول طبيب في الإسلام وعاش في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وتوفي أيام معاوية . كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من به علة أن يأتيه فيتطبب عنده. وقد روي أن سعد بن أبي وقاص مرض بمكة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعى له الحارث ليطببه, فحضر وعالجه وبرئ. وله كتاب "المحاورة في الطب" ضمن فيه حواره مع "كسرى أنوشروان", ومن أقواله:"من سرَّه البقاء ولا بقاء, فليبادر بالغذاء, وليخفف الرداء, وليقل غشيان النساء", توفي سنة ٦٣هـ.
- **السيدة "رُفيدة الأسلمية"**:وهي أول طبيبة في الإسلام وأقيمت لها خيمة في المسجد النبوي للتداوي وضع فيها الصحابي الجليل سعد بن معاذ عندما أصيب في غزوة الخندق.

الطب في عهد الخلافة الأموية:

شهد هذا العهد إنشاء أول بيمارستان في الإسلام على يد الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة٨٨هـ ,وُضِعَ فيه المجذومون وأجريت عليهم الأرزاق.ولكن رغم ذلك ظل الطب العربي يسير دون منهج متكامل أو نظام واضح وينتقل بين الناس مشافهة.

---

[1]) للاستزادة من هذا الموضوع راجع من كتب التراث كتاب "الطب النبوي" لابن القيم, ومن الكتب الحديثة كتب"التداوي بالأعشاب والطب النبوي","التغذية النبوية" للدكتور/ عبد الباسط محمد السيد-أستاذ الكيمياء الحيوية بالمركز القومي للبحوث وعضو هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة- وله سلسلة محاضرات بعنوان "الطب النبوي العلاجي".

[2]) رواه النسائي, وأخرجه الترمذي

[3]) صحيح البخاري

[4]) صحيح البخاري

ومن الأطباء الذين اشتهروا في هذا العصر: "**ابن أثال**" وكان طبيبا لمعاوية بن أبي سفيان، كما اشتهر "**ابن أبجر الكنائي**" في زمن عمر بن عبد العزيز وكان يعتمد عليه في صناعة الطب، وفي نهاية عهد الأمويين اشتهرت "زينب" طبيبة بني أود.

الطب في عهد الخلافة العباسية:

ذكرنا في نهاية الحديث عن حال الطب قبل العرب أن الأطباء استقر بهم الحال في نهاية المطاف ببلدة يقال لها "جنديسابور" جنوب فارس حيث حافظوا على علم الطب اليوناني وحموه من الاندثار، وقد تركز علم الطب في أسرة سريانية واحدة هي آل بختيشوع.

ومع بداية العصر العباسي حدثت نقطة تحول فاصلة في تاريخ الطب أجمع وتحول الطب العربي من مجرد جهود متفرقة لأفراد يتناقلون الطب مشافهة إلى منهج واضح المعالم، وأصبح يسير وفق خطة منظمة وبخطى ثابتة نحو ارتقاء قمة العلم في العالم كله.

وكانت بداية هذا التغيير في عام١٤٨هـ عندما مرض الخليفة "**أبو جعفر المنصور**" وأدركه ضعف في معدته ولم يفلح الأطباء في علاجه فقال المنصور: أريد من الأطباء من سائر المدن طبيبا ماهرا. فقيل له: ما في عصرنا أفضل من "**جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي**" رئيس أطباء جنديسابور. فاستقدمه المنصور إلى بغداد وقام بعلاجه فأعجب الخليفة بسعة علمه وطلب منه أن يبقى بجواره كما طلب منه أن يطلعه على كتب الطب والحكمة التي بحوزته فلما رآها دهش المنصور من غزارة هذا العلم ووجده علمًا عظيم الفائدة لا يليق بالأمة الإسلامية أن تغفله، فعهد إلى المترجمين أن ينقلوه إلى العربية وبهذا بدأ أول عصر من عصور التطور المنظم للطب العربي وهو عصر الترجمة.

١) ***عصر الترجمة:*** وفي هذا العصر بدأ المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) حركة الترجمة ثم جاء هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) فأمر بجمع كل ما يمكن جمعه من الكتب اليونانية والسريانية وكل الكتب القديمة التي عثر عليها في أنقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم محاولاً بذلك أن يتأصل العلم في بغداد.

ومع بداية عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) ازدهرت حركة الترجمة ازدهارًا عظيمًا فلقد كان المأمون نفسه عالمًا وكان ينفق بسخاء على الترجمة إلى حد أنه كان يدفع وزن ما يترجم ذهبًا، وكان يحض الناس على قراءة الكتب ويرغبهم في تعليمها.

وعندما علم أطباء جنديسابور بمكانة العلماء في بغداد هاجروا إليها وحملوا معهم نفائس المخطوطات اليونانية والهندية والفارسية إضافة إلى آرائهم في الطب.

وكانت حركة الترجمة قد بدأت من السريانية إلى العربية وأشهر من قام بهذه العملية هو "**يوحنا بن ماسويه**" وهو نصراني سرياني فلما جاء المأمون أدرك أن الترجمة المزدوجة

مــن اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية هي مصدر أخطاء كثيرة وغموض فعمل على أن تكون الترجمة من اليونانية إلى العربية مباشرة.

واشتهر في هذا العصر ممن له علاقة بالطب ثلاث مجموعات لكل منها عمله المحدد

- **المجموعــة الأولى:** من أهل جنديسابور وعلى رأسهم أسرة بختيشوع وكان عملهـم مـداواة الخلفـاء والأمراء، وكان فيهم من المهارة وحسن التصرف والذكاء والقدرة على إرضاء الخلفاء ما جعلهم أطباء البلاط المفضلين.
- **المجموعة الثانية:** من أهل الحيرة وعلى رأسهم "**حنين بن اسحق**" وهو من طائفــة من المسيحيين يقال لها "العِباد" ويعد حنين هو مترجم العرب الأكبر وهو من أكبر نوابغ هذا العصر. تعلم الطب على يد يوحنا بن ماسويه وأتقن الســريانية ثــم رحــل إلى اليونان وحذق لغتها، ثم ذهب إلى البصرة وتلقى العربــية على يد الخليل بن أحمد. وبذلك أصبح أعلم أهل زمانه بهذه اللغات وقام بعد ذلك بترجمة الكتب الطبية اليونانية ترجمة متقنة.مارس حنين الطب والعلاج ولكنه لم يبرع فيه براعته في الترجمة، توفي عام ٢٦٠هــ.
- **المجموعــة الثالــثة:** من أهل حران وعلى رأسهم "**ثابت بن قرة**" الذي عمل بالترجمة ومارس الطب و لكن أثره في الترجمة كان أكبر.

٢) *عصر التأليف:* ما أن استقرت العلوم في بغداد حتى نشأ جيل من الأطباء فهموا هذه العلوم فبدأوا التأليف العربي المستقل ويأتي على رأسهم:

- "**على بن رَبّن الطبري**":(المتوفى سنة٢٣٦هــ) وقـد كتب كتابًا سماه "فردوس الحكمة" وقسمه إلى أبواب ومقالات، وبرغم أنه ليس فيه تجديد كبير إلا أنه يدل على ثقة المؤلف بعلمه



علي بن ربن الطبري

٣) *العصر الذهبي:* كان هذا العصر بمثابة نقلة هائلة ليست في تاريخ الطب العربي فقط وإنما في تاريخ الطب على مر العصور فبعد أن استوعب أطباء الحضــارة الإســلامية مؤلفات كل من سبقهم في الطب اتجهوا إلى الإبداع في هذا الفن فاهــتموا بالعلوم المتصلة بالطب مثل الكيمياء كما اهتموا بالملاحظة و التجربة ولم يقبلوا بــآراء السابقين إلا بعد أن يجربوها ويتأكدوا من صحتها وما وجدوه منها خطأ عارضوه وعدّلوه، واهتموا كثيرا بتدوين الملاحظات السريرية وكانوا يعتمدون على دلالات النبض والبول والدم في تشخيص الأمراض.

وفــي هــذا العصر ظهرت الكتب الموسوعية التي تشمل كل مجالات الطب كما ظهرت التخصصــات الطبــية الدقــيقة فمن الأطباء من تخصص وبرع في الجراحة ومنهم من

تخصص في طب العيون وغيرها. وظهرت الأسر الطبية التي توارثت علم الطب وبرزت عدة أسماء من نفس الأسرة مثل عائلة **ابن زهر** وعائلة **"ثابت بن قرة"**.

وتميز الأطباء بإجلالهم السابقين لهم فلا يُذكر اسمي جالينوس وأبقراط إلا وُصفا بالفاضل جالينوس والفاضل أبقراط، ولا يذكر ابن سينا إلا بالشيخ الرئيس.

ومن الابتكارات الجديدة في ذلك العصر هو نشأة "الجداول الطبية" فكانوا يعرضون الأمراض وأسبابها وأعراضها عن طريق الجداول ثم يتبعها التدبير والعلاج.

وإذا نظرنا لأسماء **الأطباء** في ذلك العصر نجد عددًا كبيرًا من الأطباء الذين قدموا الكثير في مجال الطب ولا يتسع المجال لذكرهم جميعا ولكننا سنقوم باستعراض بعض الأسماء التي تركت بصمةً مميزة في تاريخ الطب وسنفصل في حياة ثلاثة من الأطباء من أعظم النوابغ يوضعون على قمة الطب العربي وكانت مؤلفاتهم في الطب بمثابة المصابيح التي أضاءت منها أوربا قناديلها في العلوم الطبية، وظلت مؤلفاتهم تدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن السابع عشر وهم: **أبو بكر الرازي، وابن سينا، وأبو القاسم الزهراوي.**

❁ الرازي "*Rhazes*": (٢٥١-٣١٣هـ/٨٦٥-٩٢٥م)


الرازي

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، يعتبر أبو الطب العربي، وعدَّه كثير من المؤرخين أعظم طبيب أنجبته النهضة الإسلامية.

ولد بالري جنوب طهران حوالي عام ٢٥١هـ ، وبدأ حياته عازفا للعود ومهتما بالغناء في صغره ثم ترك الغناء عندما التحى وجهه قائلاً: " كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف".

اتجه بعد ذلك إلى دراسة الكيمياء وتفوق فيها مما كان له الأثر على طبه فيما بعد فكان ينسب الشفاء إلى التفاعلات الكيميائية التي تجري داخل الجسم.ومن مظاهر تفوقه في الكيمياء أنه كان أول من صنع مراهم الزئبق كما استطاع أن يحضر حامض الكبريتيك بتقطير الزاج الأخضر(كبريتات الحديد) وسماه زيت الزاج.

ترك الكيمياء بعد ذلك لفترة بعد أن رمدت عيناه بسبب أبخرة العقاقير.

اتجه بعد الثلاثين من عمره إلى دراسة الطب وبرع فيه حتى تولى رئاسة بيمارستان الري وعندما قصد بغداد وأقام فيها أدار أحد بيمارستاناتها.

أما عن آرائه في الطب فكان يرى أن العلم النظري أساس الطب التطبيقي ويجب أن يسبقه، فيقول "إن قليل المشاهدة المطلع على الكتب خير ممن لم يعرف الكتب على ألا يكون عديم المشاهدة".

ولا يظن من يقرأ هذا الرأي أنه كان يغفل الجانب السريري(الإكلينيكي) بل على العكس تمامًا فقد تميز من الناحية الإكلينيكية عن سائر أقرانه وأصبح من الرواد الأوائل في هذا الجانب حتى قال عنه "ول ديورانت" صاحب كتاب قصة الحضارة أنه "أعظم علماء الطب السريري في العصور الوسطى" فقد اهتم اهتمامًا كبيرًا بتاريخ المرض واستقصاء أعراض المريض ***Symptoms*** فكان يغضب غضبًا شديدًا عندما يخطئ و يكون خطأه راجعا إلى نقص في سؤال المريض و يقول: "ينبغي للطبيب ألا يغفل مسائلة المريض عن كل ما تتولد عنه علته"، و بالنسبة للعلامات ***Signs*** فكان يضع ترتيبا للعلامات على قدر أهميتها و يقول "اجمع العلامات الجيدة و الرديئة بمراتب قواها في ورقة و راقبها دومًا" ثم يقوم بتدوين مشاهداته و ملاحظاته في كتبه، وكان يجرب ما قال به جالينوس و أبقراط قبل أن يأخذ برأيهما و يقول: "ولا نُحِل شيئا من ذلك عندنا محل الثقة إلا بعد الامتحان و التجربة له".

أما عن مظاهر ريادته في الطب الإكلينيكي و التي سمت به إلى أعلى الدرجات فنذكر منها :-

١- الرازي هو أول من ميز بين الجدري و الحصبة في أطوارهما المرضية الأولى و له رسالة في التشخيص التفريقي "***Differential diagnosis***" بين أعراضهما غاية في الجودة قال عنها المستشرق "نيوبرجر" إنها حلية في جيد الطب العربي .

٢- و هو أول من استعمل خيوطًا من أمعاء الحيوانات في خياطة الأنسجة في الجراحة وهي خيوط القصاب ***catgut***.

٣- يعتبر الرازي مبتكر ما نسميه التجربة الضابطة "***controls***" فكان يجرب العلاج على نصف المرضى و يترك النصف الآخر عامدًا دون علاج ليرى تأثير العلاج على من يتناولوه ويقارنهم بمن لم يتناولوه .

٤- و كذلك يعتبر مبتكر الطب النفسي فكان يهتم بأثر النواحي النفسية في العلاج و يقول:"إن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس" و يقول:" على الطبيب أن يوهم المريض الصحة و يرجيه بها و إن لم يثق بذلك" .

٥- و هو أول من أنشأ المقالات الخاصة بطب الأطفال .

٦- و من عظيم اكتشافاته معرفته لأثر الضوء على حدقة العين ***Light reflex*** و اتساعها ليلاً و انكماشها نهارًا واستغل هذه المعرفة في فحوصه العصبية.

٧- و هو أول من عرف أثر الحساسية في إحداث بعض الحالات المرضية وإن لم يذكر كلمة الحساسية صراحة و ذلك في مقالته "في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد "

أما عن مؤلفاته فله نحو ٢٢٤ كتاب في مجالات العلوم المختلفة ضاع منها الكثير وبقي القليل الذي تزدان به المكتبات العربية و العالمية أشهرها كتابه " الحاوي في الطب " الذي ينقسم إلى عشرة أجزاء و يعتبر موسوعة ضخمة تضم علوم الطب و تضم جميع مشاهداته و ملاحظاته التي دوّنها، وقد تمت ترجمة الكتاب إلى اللاتينية بعنوان (*Liber continens*) و قد ظل هذا الكتاب أهم مرجع في أوروبا لعدة قرون ، و هو أضخم كتاب طبع بعد اختراع المطبعة مباشرة .

و من كتبه الشهيرة كتاب "المنصوري" في التشريح الذي أهداه إلى المنصور بن اسحق، و له أيضًا كتاب " محنة الطبيب " أي ما ينبغي أن يمتحن فيه الطبيبُ قبل أن يُرخَّص له بمزاولة المهنة.

و كتاب " من لا يحضره الطبيب " و هو عبارة عن الإسعافات الأولية التي ينبغي المبادرة إليها إلى أن يحضر الطبيب.

و في آخر حياته أصيب الرازي بماء نزل في عينيه **Cataract** فعمي ثم توفي حوالي سنة ٣١٣هـ و له من العمر ما يقرب من سبعين عاما حافلة بالإنجازات و العلوم .

إن المرء ليصاب بالإحباط عندما يرى هذا الكم من الإنجازات و يجد أن أغلب الناس والمتعلقين بالطب خاصة لا يعرفون عنها شيئًا و لا يعطون الرازي ما يستحق من التقدير في حين أن جامعة برنستون **Princeton** الأمريكية تحتفظ بكتبه في قاعة من أفخم قاعاتها وصورته تزين أحد نوافذها كما يوجد له بورتريه في كلية الطب جامعة باريس اعترافا بفضله و مآثره في علم الطب على مر العصور.

❁ علي بن العباس "*Haly Abbas*" :- (توفي سنة ٩٩٤م)

ولد بالأهواز بفارس وتتلمذ على يد الرازي ، ثم وجد لديه علم نظري غزير و علم عملي مستقر فقام بتأليف كتاب جامع في الطب أراد أن يكون وسَطًا بين الكتب المختلفة أسماه "كامل الصناعة " و قال في مقدمته أن أبقراط يميل إلى الاختصار مما سبب الغموض و جالينوس يميل إلى التوسع و قلة العناية وعن كتاب الحاوي للرازي قال إن ضخامته و تكاليفه يجعل الحصول عليه مطلبا وعرًا .

و كـتابه هـذا هو أول كتاب ترجم إلى اللاتينية و عرف باسم الكتاب الملكي و سمي باللاتينية ***Liber Regius*** و كانت ترجمة هذا الكتاب فتح في تاريخ الطب اللاتيني .

۞ الزهراوي "*Albucasis*": (٩٣٦-١٠١٣م)

هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي فخر الجراحة العربية، ولد بمدينة الزهراء التـي بـناها عبد الرحمن الثالث " الناصر" جوار قرطبة لـتكون عاصـمة الأندلس . عمل في بلاط عبد الرحمن الناصر وأجرى العمليات الجراحية كما قام بتأليف كتابه الرائع "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي ظل عماد الـتدريس والممارسة الجراحية في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر .



وللأسـف الشـديد لم يصلنا غير الشيء القليل جدا عن حياته ربما لأن مدينة الزهراء دمرت بعد وفاته بعامين.

و يحـتوي كتاب التصريف على جوالي مائتي آلة جراحية موصوفة ومرسومة الكثير منها من اختراعه هو فقد كان يحث على الخلق و الإبداع و يحتوي كتابه بالإضافة إلى أشـكال الآلات المختلفة على أول صورة في التاريخ للمقص الحقيقي إلى جانب صورة لأول محقن في التاريخ الطبي و كان يسمى زراقة.

و يعـتبر كـتابه هذا أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب استطاع الزهراوي من خلالـه أن يطـور ما نعرفه اليوم بالجراحة العامة ككل، وفروعا عديدة من الجراحات الخاصـة كالمسـالك البولية والتجميل والأنف والأذن والحنجرة وجراحة الفم والأسنان حتى قال عنه "سكوت": "أبو القاسم كان مبتكر الجراحة الحديثة".

أما عن إنجازاته الجراحية فنورد منها ما يأتي:

في مجال الجراحة العامة: اسـتطاع الزهراوي أن يفرق بين الفتق الاربي المائل وبين الفتق الاربـي المباشـر ***Direct and oblique inguinal hernia*** كمـا وصف عملية استئصال الفتق ***Herniotomy***.[1]

وينسـب عمـيد الجراحة الحديثة في أمريكا "هالستيد" إلى الزهراوي فضل إجراء أول عملية جراحية ناجحة لاستئصال الغدة الدرقية في عام ٩٥٢م.[2]

---

(1) NYHUS, L.M., and BOMBECK, C.T.: "Hernias, historical aspects", In: Davis-Cristopher Text book of Surgery, 11th Ed., W.B. Saunders Co. pp.1335-1360, 1977.

(2) HALSTEAD, W.S., : "The Operative Story of goitre". Johns Hopkins Hosp. Rep. 19: 71, 1929

وفي مجال جراحة المسالك البولية: قام الزهراوي باختراع أول مبضع لاستخراج حصوة المثانةStone forceps.[1] واستطاع أن يقوم لأول مرة في التاريخ الطبي باختراع آلة لتفتيت الحصاة سماها الكلاليب.[2]





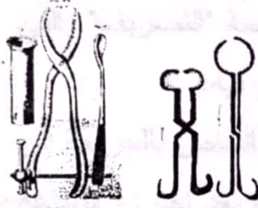
Fig. 3A: Alzahrawi's stone forceps as shown in Huntington manuscript[1] (top) and Marsh manuscript[4] (lowermost) of Al-Tasreef.



Fig. 3B: Marianus Sanctus' stone forceps[24]

مبضع الزهراوي مقارنة بتطويره فى الأسفل

ففي حصاة المثانة الكبيرة يقول: " فإن كانت الحصاة عظيمة جدا فإنه جهل أن يشق عليها شقا عظيما لأنه يعرض للعليل أحد أمرين، إما أن يموت وإما أن يحدث له تقطير البول والأفضل أن تتحيل في كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قطعا ".



كلاليب الزهراوي في اليمين وتطويرها في القرن الثامن عشر في اليسار

ولا تقف عبقريته عند هذا الحد بل تمتد أيضا لتفتيت الحصيات العالقة بمجرى البول عن طريق مثقاب رفيع Driller من الصلب كان يصل به إلى مكان هذه الحصوات، ويقوم بتفتيتها ثم تخرج الجزيئات أثناء التبول وهكذا مهد للمرضاح الحديث ***Lithotrite***.



المثقاب

ويرجع إليه الفضل في أول استخدام لمحقن من ابتكاره لشطف المثانة في حالة إصابتها بالتهاب يؤدي إلى وجود الدم والقيح في البول وسماه الزراقة، كما اخترع الزهراوي القسطرة المعدنية المستقيمة ***straight metal catheter***.[3]

وفي مجال الأنف والأذن والحنجرة: اخترع مقصلة اللوزتين ***Tonsil guillotine*** والتي كانت تستخدم حتى وقت قريب في استئصال اللوزتين كما اخترع مبعد الفكين ***Mouth Gag*** لجراحة الحلق والذي رسمه بدقة متناهية في مقاييس الحجم. وهو أول من وصف عملية شق القصبة الهوائية ***Tracheotomy*** وقال بعدم خطورتها.[4]

وفي مجال النساء والولادة: فالزهراوي هو أول من يصف وضع والخر ***Walcher position*** أثناء الولادة كما اخترع هارس الرأس ***perforator*** الذي يستخدم في سحق رأس الجنين الميت في عملية استخراجه ***Craniotomy***.[5]

وتقول دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٨٠) إن الزهراوي كان أول من يصف حالة الاستعداد الوراثي للنزف الدموي ***haemophilia*** وعن كتابه "التصريف" تقول إنه " ظل الكتاب المدرسي الرئيسي عن الجراحة في الجامعات الأوروبية لمدة تقارب

---

(1) **Extraction of urinary bladder stone as described by Abul-Qasim Khalaf Ibn Abbas Alzahráwi (Albucasis)-Saudi Medical Journal 2003; Vol. 24"**

(2) نفس المصدر السابق

(3) **Urethral Catheters: A Historical Review - Saudi Medical Journal 1990; 11 (2): 87-88**

(4) مناهج الأطباء العرب ص٧٣-٧٤

(5) **El Zahrawi (Albucasis) - father of surgery- Muslim Technologist, August 1990**

وتقـول دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٨٠) إن الزهراوي كان أول من يصف حالـة الاستعداد الوراثي للنزف الدموي ***haemophilia*** وعن كتابه "التصريف" تقول إنـه " ظل الكتاب المدرسي الرئيسي عن الجراحة في الجامعات الأوروبية لمدة تقارب الخمسمائة عام ".

مـا ذكـرناه مـن بعـض ما قدمه الزهراوي في مجال الجراحة وبعض الآلات التي اسـتحدثها والتـي مـا زلنا نستخدم الكثير منها، والتي أصبحت مع شيء من التطوير والـتعديل معـروفة لـنا بأسـماء جراحين آخرين لم يخترعوها أصلا وإنما حوروها وطوروها، كل هذا لا يمثل إلا الجزء الأخير من موسوعته الضخمة "التصريف" والتي تقع في ثلاثين جزءًا خصص أغلبها لعلم العقاقير حيث برع وتبحر فيه.

وقد ترجم "جيرارد الكريموني ***Gerard of Cremona***" الجزء الخاص بالجراحة إلى اللغـة اللاتينية في القرن الثاني عشر ثم توالت الطبعات اللاتينية بعد اختراع الطباعة بـدءا من عام ١٤٩٧م وحتى عام ١٧٨٧م ثم ظهرت الترجمة الفرنسية عام١٨٦١م ، وأخـيرا صدرت ترجمة إنجليزية مع النص العربي في سنة ١٩٧٣م اشترك فيها عالم لغـات مـع طبيـب متخصص في علم الأمراض هما سبنك ولويس وظهرت بعنوان ***Albucasis; On Surgery and Instruments***.

ابن سينا "***Avicenna***" : (٣٧١-٤٢٨هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م)

هـو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، طبيب وعالم، ومن عظام رجال الفكر في الإسلام ومـن أشـهر فلاسفة الشرق وأطبائه. ولد في قرية (أفشنة) الفارسـية في صفر من سنة ٣٧٠ هـ (سنة ٩٨٠ م) من أم من أهل القرية وأب جاء من بلخ (أفغانستان حاليا). ثم انتقل بـه أهلـه إلى بخارى (أوزبكستان حاليا) ليدير أبوه بعض الأعمـال المالـية للسلطان نوح بن منصور الساماني. وفي بخـارى ختم القرآن وهو ابن عشر سنين، وتعمق في العلوم المتـنوعة مـن فقـه وأدب وفلسفة وطب، وبقي في تلك المدينة حتى بلوغه العشرين.



ابن سينا

ويذكـر أنه عندما كان في الثامنة عشر من عمره عالج السلطان نوح بن منصور من مرض حار فيه الأطباء، ففتح له السلطان مكتبته الغنية مكافأة له. ثم انتقل إلى خوارزم حيث مكث نحواً من عشر سنوات (٣٩٢ - ٤٠٢ هـ)، ومنها إلى جرجان فإلى الري. وبعد ذلك رحل إلى همذان وبقي فيها تسع سنوات، ومن ثم دخل في خدمة علاء الدولة

بأصفهان. وهكذا أمضى حياته متنقلاً حتى وفاته في همذان، في شهر شعبان سنة ٤٢٨ هـ (سنة ١٠٣٧ م).

كان ابن سينا عالما وفيلسوفا وطبيبا وشاعرا، ولُقِّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقا لعصره في مجالات فكرية عديدة.

وقد ألف ابن سينا كمًا هائلاً من الكتب في شتى المجالات بلغت ٢٧٦ كتابًا والغريب أنه لم يكتبها في بلد واحد، ولا في مدة متصلة ولا في دولة واحدة إذ كان يحرر رسائله الصغيرة في أثناء رحلاته وأسفاره على الرغم مما كان يحيط به من مشاكل ومشاغل، والأغرب أن هذا الإنتاج الضخم تم في زمن قصير جدا يمثل سنوات عمره القصيرة والتي لم تتجاوز ٥٦ عامًا حتى قال عنه "جورج سارتون": "إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي".

واستطاع ابن سينا أن يقدم للإنسانية أعظم الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات، وما يسره الله له من فتوحات طبية جليلة؛ فكان أول من كشف عن العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن، فهو أول من كشف عن طفيل "الإنكلستوما" وسماها الدودة المستديرة، وهو بذلك قد سبق الإيطالي "دوبيني" بنحو ٩٠٠ سنة، وابن سينا هو أول من ذكر بتوسع كبير أنواع ثلاثة من اليرقان وفرق بين المغص الكلوي والمعدي[1].

كما كشف لأول مرة عن طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو، وقال: إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جدا لا تُرى بالعين المجردة، وهي التي تسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده "فان ليفينهوك" في القرن السادس عشر بعد اختراع المجهر.

كما يعتبر ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية.

ويمتاز كتابه القانون كلمة بتنظيمه الشديد مما جعله الكتاب المفضل لمن جاء بعده.

ابن رُشد "Averroes" : (٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨)

هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد في قرطبة ودرس الطب على يد علمائها كما درس الفقه واللغة واشتهر بالفلسفة.

ألف ابن رشد نحو عشرين كتابًا طبيًا أشهرها "الكليات في الطب" وهو موسوعة طبية في سبعة مجلدات. وقد ذكر ابن رشد في كتبه أن الجدري لا يصيب الإنسان أكثر من مرة واحدة في حياته.

---

[1] مناهج الأطباء العرب ص٧٠.

وتــدل فهرسة هذا الكتاب على أنه كان يعتزم إصداره في ثلاثمائة مجلد إلا أن المنية عاجلــته فلم يكتب منها سوى ثمانين مجلد فقط وجدت في مكتبه بعد وفاته وهي تشهد بطول باعه وعلو كعبه وصبره العظيم على الكتابة والتأليف.

ومن مؤلفاته الشهيرة أيضا "الموجز في الطب" اختصر فيه كتاب القانون.

ومــع ازدهــار الطــب العربي في العصر الذهبي بدأت أوربا تتطلع لنقل هذه الحضارة وقد اتخذت حركة النقل عدة طرق :

١- **الحروب الصليبية** : وكان هذا التأثير ضعيفًا للانشغال بالحروب ومن أمثلة هذا التأثير اتخــاذ بعض الأمراء الصليبيين أطباء عرب مثل عموري الذي كان طبيبه هو سليمان بن داود النصراني.

٢- **صــقلية وسالرنو**: في أوائل القرن التاسع الميلادي فتح العرب صقلية وحكموها نحو قرنين من الزمان وحين زالت دولة العرب عني النورمان بالحضارة العربية وخاصة الملــك "فريدريك الثاني" الذي كان يعرف العربية ويخاطب بها ضيوفه العرب وكان يشجع العلماء من كل جنس ولا يفرق بين مسلم ومسيحي ويهودي.

٣- **الأندلــس**: وهــي أهم طريق انتقل به الطب العربي إلى أوروبا حيث كان الاتصال وثيقا في الأندلس بين الحضارتين العربية واللاتينية رغم العداء الشديد بينهما.

وكان النقل من العربية إلى اللاتينية يقوم به مترجمون مختلفون، يتعاونون فيما بينهم.

ومــن عجائــب الــتاريخ أن حركة النقل دارت في بادئ الأمر حول رجل واحد هو قسطنطين الإفريقي(١٠٢٠-١٠٨٧) الذي لم يكن له علم واسع باللغة العربية وعلمه باللاتينــية ضعيف ولم يكن على علم خاص بالطب كما لم يكن أمينا في نسب الكتب إلــى مؤلفــيها وأهم أعماله هي ترجمة الكتاب الملكي لعلي بن عباس فكان فتحا في تاريخ الطب اللاتيني، ثم جاء "جيرارد الكريموني ***Gerard of Cremona***" فترجم حوالــي ٨٧ كـتابا أهمهــا "القــانون" و"الحاوي" وكان أغزر علمًا وأكثر صدقًا من قسطنطين.

وهكــذا انــتقل التراث العلمي الطبي من الحضارة الإسلامية إلى أوربا لينهل العلماء الأوربــيون مــن النبع الغزير الذي تركه لهم العلماء العرب وتحدث دورة أخرى في التاريخ، فتتبوأ أوربا مقعد الصدارة في النهضة العلمية، ويخبو الدور العربي في علم الطب في انتظار من يقوم بإعادته مرة أخرى.

" وإنهــا لأمانــةٌ في أعناقــنا نحن أحفاد العرب أن نحمل المشعل مرة أخرى لنضيء الطريق، ونقود الإنسانية كما فعل أسلافنا أول مرة".

" وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ"

النظريات الطبية في الطب العربي :[1]

وبعد أن قمنا باستعراض سريع لتاريخ الطب العربي وأشهر أطبائه سنحاول الآن أن نلقي نظرة على النظريات الطبية المتبعة في تلك الفترة وطرق العلاج لأننا إذا حاولنا قراءة كتب الطب العربي فسنجد مصطلحات عديدة غامضة وتصورات تختلف عن التصورات الحديثة للطب الحالي مما يعوقنا عن استيعاب ذلك الطب وفهم مصطلحاته، وهذا يرجع إلى أن النظرية التي سار عليها الطب العربي كانت هي التي وضعها أبقراط في عصر الطب اليوناني لتفسير الأمراض وهي نظرية "الأمزجة الأربعة **four Humors theory**" ولفهم هذه النظرية يجب علينا أن نتعرف على ثلاثة أشياء:العناصر، والأخلاط، والأمزجة.

<u>العناصر</u>: وكانوا يسمونها "الاستقصات" وهي أن كل شيء في الوجود ومنه جسم الإنسان يتكون من أربعة عناصر وهي الماء والهواء والنار والتراب.

<u>الأخلاط</u>: أو السوائل وهي السوائل داخل الجسم وتنقسم إلى أربعة رئيسية:الدم، والصفراء، والسوداء، والبلغم. وتنشأ هذه الأخلاط نتيجة لامتصاص الغذاء ثم ينتقل الغذاء الممتص ويسمى "الكيموس" عن طريق العروق إلى الكبد فيحوله إلى دم ويحول جزء منه إلى صفراء، وينتقل جزء آخر إلى الطحال فتتكون السوداء أما الجزء الذي يذهب إلى الرئة والمعدة يتحول إلى بلغم. وينبغي لكي يصح الجسم أن تكون هذه الأخلاط سليمة فإن فسدت الأخلاط فسد الجسم ونشأت الأمراض.

<u>الأمزجة</u>: وهي صفات الأشياء وتنقسم إلى أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبس، وتتصف بهذه الصفات الأعضاء والأغذية والأدوية.

فالأعضاء يعرف مزاجها عن طريق اللمس أو بالحدس وبما هو معروف من خصائصها؛ فالكبد مزاجه حار رطب والطحال حار يابس والعظام باردة يابسة والرئة مزاجها بارد رطب، وإذا ساء مزاج أحد الأعضاء يحدث المرض.

ولكي نفك هذا الغموض ونفهم هذا الأمر فلننح المصطلحات السابقة جانبًا ولو لبرهة ولننظر إلى مزاج العضو على أنه قدرته على أداء وظيفته وننظر إلى فساد الأخلاط على أنه فساد تركيب السوائل والإفرازات التي تتعلق بهذا العضو، فإذا قيل عن عضو أنه أصابه سوء مزاج فمعنى ذلك أنه في حالة لا يؤدي فيها وظيفته على الوجه الصحيح.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك قولهم في الكبد : إن سوء مزاجه سبب لفساد أخلاطه الذي هو المرض وينشأ من ذلك أعراض وعلامات مثل الاستسقاء Ascitis واليرقان Jaundice، ولو عبرنا عن ذلك بلغتنا الحديثة نجد أن نظرتهم في الكبد كالآتي:

---

[1]) تمت الاستعانة في أغلب هذا الجزء بكتاب "الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب" - فصل مبادئ الطب العربي

Disturbance in hepatic fluids will lead to disturbance in its function and this leads to Ascitis & Jaundice.

بينما ننظر نحن إليها كالآتي:

Disturbance in liver function will lead to disturbances in its fluids & secretions and this leads to Ascitis and Jaundice.

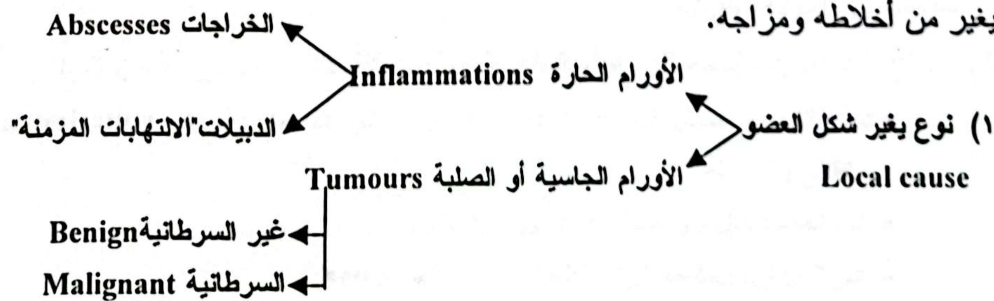
وبهذا الشكل لا يكون تصورهم خاطئًا إلى حد كبير و يكون الفرق بيننا وبينهم فقط في تعاقب السبب والنتيجة، فعندنا أن الأمراض التي تصيب العضو هي التي تحدث فساد الأخلاط "الإفرازات" أما القدماء فكانوا يظنون أن فساد الأخلاط أي السوائل التي يفرزها العضو والمحيطة به هي التي تحدث المرض والأمران متلازمان في أغلب الأحوال.

وهذه التفسيرات رغم غرابتها إلا إن هذه الغرابة ستزول عندما نعرف السبب في نشأة هذه النظريات وهو أنه:

- لم يكن هناك أي علم بالتركيب الدقيق للأنسجة والذي لم يعرف إلا في القرن السابع عشر الميلادي مع اكتشاف المجهر وعندها تغيرت هذه النظرية، كما لم يكن عندهم علم بالكيمياء الحيوية، ولذا كان لزامًا عليهم أن يفرقوا بين الأشياء حسب خواصها الظاهرة والفيزيقية فقط ويفسروها حسب العناصر الأولية الموجودة في الطبيعة.
- السبب الثاني هو الفكر الفلسفي اليوناني، فكان الفلاسفة اليونان هم الذين يضعون النظريات الطبية أو الكليات أولاً ثم يحاولون تطبيق الواقع عليها ولذا لم يحاول أطباء الحضارة الإسلامية أن يشككوا فيها أو يتخلصوا منها ويعدلوها لأنها في نظرهم ثابتة ببراهين فلسفية خارجة عن العلوم الطبية، كما أنهم وجدوا فيها تعليلاً منطقيًا لما عرض لهم من مشاكل في ظل الجهل بتركيب الخلايا الدقيق.

"فالطب اليوناني والطب العربي يمثلان عصرًا واحدا من التفكير الطبي هو عصر الخبرة المنظمة عقليًا، وهو عصر دام عشرين قرنًا وضع أبقراط كلياته ومنهجه، ثم فصل وفرع عليه جاليـنوس، ومارسه الرازي، ونسقه وأوضحه ابن سينا إيضاحًا ليس بعده مزيد إلى أن عرف الناس العلم التجريبي وعلم الكيمياء."[1]

أما عن تقسيم الأمراض فنجدهم يقسمون الأمراض إلى نوعين:نوع يغير شكل العضو ونوع يغير من أخلاطه ومزاجه.



[1]) الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب – ص١٨

٢) نوع يغير من أخلاطه ومزاجه ← فساد الأخلاط الطبيعية Normal fluids disturbance

General cause

نتيجة ← زيادة كميتها

← نقص كميتها

← فساد تركيبها

← وجودها في غير موضعها

↓

ما يخرج عن الطبيعة "فضول" Abnormal fluids

↓

يضر إذا لم تستطع أجهزة الاستفراغ

كالقيء والإسهال والبول تخليص الجسم من أضرارها

العلاج: وكانوا يتقنون تحديد أولوياته ومن أمثلة ذلك قول ابن سينا في القانون:

" أي المعالجات تبتدئ أولاً؟ فمثلاً إذا اجتمع الورم والقرحة عالجنا الورم أولاً وإذا اجتمعت السدة و الحمى عالجنا السدة أولا، ولا نبالي بالحمى لأن الحمى يستحيل أن تزول وسببها باقٍ، وإذا اجتمع المرض والعرض فإنا نبدأ بعلاج المرض إلا أن يغلبه العرض فحينئذٍ نقصد قصد العرض ولا نلتفت إلى المرض، كما نسقي المخدرات في القولنج الشديد الوجع إذا صعب وإن كان يضر نفس القولنج."

أما عن وسائل العلاج المستخدمة في ذلك الوقت فكانت تنقسم إلى:

١) **علم حفظ الصحة Prevention**

٢) **العلاج الطبيعي** عن طريق الرياضة والحمام والشراب و الأغذية، وفصلوا في أوقات الحمام وحرارته وما يجب على المريض عمله بعد الحمام الساخن، أما الأغذية فكانوا يعرفون صلاحيتها للعلاج بما يكون من تناسب مزاجها مع مزاج الأعضاء الآلمة لذا اهتموا بمعرفة أمزجتها عن طريق التذوق فتعرف به الأشياء الحريفة والباردة وبما تحدثه في الجسم من حرارة بعد تناولها، كما قسموها من الأشد حرارة لأقلها.

٣) **العلاج بالأدوية**: وتعرف أمزجتها باللمس أو بوضعها على الجلد مدة طويلة فإذا احمر الجلد كان الدواء حارًا. وكانوا يبدأون العلاج بالأدوية المفردة فإذا لم تأت بنتيجة يستخدمون الأدوية المركبة.

٤) **العلاج الجراحي**: وقسمه "ابن أسلم الغافقي" صاحب كتاب المرشد في العيون إلى:

- ***في اللحم***: **مثل البط perforation – وهو شق الدمامل – والكي cauterization والقطع والخياطة**
- ***في العظم***: **مثل جبر العظام المكسورة والمخلوعة**
- ***في العروق***: **وتنقسم إلى: الضوارب: مثل البتر والقطع**
  غير الضوارب: مثل الفصد

المراجع:

١. تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه : د/ عبد الحليم منتصر (دار المعارف- الطبعة التاسعة).

٢. الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب:إشراف الدكتور محمد كامل حسين (إصدار المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة).

٣. مناهج الأطباء العرب: دراسة وتحقيق هناء فوزي عامر (دار سعاد الصباح).

٤. لمحة عن تاريخ الطب: تأليف بلاكسلاند ستبز ، ترجمة الدكتور أحمد زكي الحكيم (الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الألف كتاب).

٥. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطي

٦. مواقع تم الاستعانة بها في البحث:

مقالات وأبحاث:

- Urethral Catheters: A Historical Review
  Rabie E. Abdel-Halim-FRCS Ed, Professor of Urology-King Abdul-Aziz University Hospital - ***Saudi Medical Journal*** 1990; 11 (2): 87-88
  http://www.geocities.com/rabieabdelhalim/catheters.html#_ftn1
- El Zahrawi (Albucasis) - father of surgery
  Dr. Monzur Ahmed - ***Muslim Technologist***, August 1990
  http://www.ummah.net/history/scholars/el_zahrawi
- تحقيق حياة الرازي كما وردت في المصادر القديمة والمراجع الحديثة - للدكتور أحمد ماضي صقال - الجمهورية العربية السورية
  http://www.islamset.com/arabic/aisc/razi/index.html
- الجراحة عند الزهراوي - للدكتور/ أحمد مختار منصور
  http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/turath/zahrawi/index.html
- تراث الاسلام في الجراحة الحديثة – د/ أحمد عبد الحي ود/ سيد وسيم احمد
  http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/turath/zahrawi/index.html
- الإنجازات الجراحية لأبي القاسم الزهراوي -الدكتور/ أحمد عبد الحي
  http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/turath/zahrawi/index.html
- لمحات من الطب عند العرب
  http://www.arabicmagazine.com/inner2.asp?order=3&num=3135

مواقع أخرى تم الاستعانة بها:

- **History of medicine-U.S. National Library of Medicine-National Institutes of Health:** **http://www.nlm.nih.gov/hmd**
- **Wikipedia Encyclopedia:** **http://en.wikipedia.org/wiki/main_page**
- **http://www.islam-online.net/Arabic/history/index.shtml**